

اسم المادة: ٢٢ الإيمان بالقضاء والقدر

من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: ٢٢ الإيمان بالقضاء والقدر
من سلسلة: الوحي وبناء الإيمان
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-215739.htm



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛

بفضل الله -عز وجل- انتهينا مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

واليوم بإذن الله -تبارك وتعالى- مع الركن الأخير من أركان الإيمان؛ وهو الإيمان بالقضاء والقدر.

ما هو القضاء والقدر؟

من البداية القضاء هو: حُكْم الله –عز وجل–، وأحكام الله –عز وجل– كلها لحكمة بالغة، حتى وإن كان فيها ضُرٌ لبعض الناس في ظاهره.

– فلقد قضى الله –سبحانه وتعالى– أن تحمل مريم فهذا قضاء الله، وهي "قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا" مريم:٢٣، ولكن لو علمت أن قضاء الله كله بحكمة ما قالت هذا.

– الصحابة –رضي الله عنهم– يوم بدر؛ قضى الله –حُكم الله– أن يخرجوا للقتال، وكانوا كارهين لهذا، ولكن كان قضاء الله كله خير لهم.

– يوسف –عليه الصلاة والسلام– كان قضاء الله –أي حكم الله– أن يدخل السجن، وبعض الناس يرى في السجن ظلم ووحشة، ولكن قضاء الله وحكم الله كله حكمة، ففي السجن يتعرف على رجل يكون السبب بعد ذلك لكي يكون يوسف –عليه الصلاة والسلام– عزيز مصر.

– السيدة عائشة كان قضاء الله أن يقع فيها أهل الأفك بالأفك، وهي كانت تبكي حتى ظنت أن البكاء سيفلق كبدها، ولكن كان قضاء الله

كله حكمة، فرفع الله من شأنها ورفع من قدرها وأنزل فيها آيات تُتلى إلى قيام الساعة.

وهكذا قضاء الله كله خير، كله خير.

فالقضاء معناه (الحكم) وقضاء الله –عز وجل– لا يكون إلا لحكمة بالغة.

ما هو القدر؟

وأما القدر فهو: علم الله –عز وجل–. فربنا –سبحانه وتعالى– قضى بمعنى (حكم) وقدَّر بمعنى (علم).

القضاء والقدر من أركان الإيمان وهو ركن عظيم من أركان الإيمان.

قال –تعالى–: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" القمر: ٤٩.

قال الله –عز وجل–: "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" الفرقان: ٢.

قال الله –عز وجل–: "فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ" المرسلات ٢١: ٢٢.

قال الله –عز وجل–: "نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ" الواقعة: ٦٠.

قال الله: "وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا" فصلت:١٠.

قال الله: "ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ * وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ" الأعلى٢:٣.

ولما جاء جبريل بين يدي النبي –صلى الله عليه وسلم–: "فقال ما الإيمانُ؟ قالَ: أن تؤمِنَ باللَّهِ وملائكتِهِ ورسلِهِ وكتبِهِ واليومِ الآخرِ والقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ"[١].

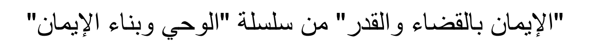
وفي حديث جابر النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لا يؤمنُ عبدٌ حتى يؤمنَ بالقدَرِ خيرِه وشرِّه، حتى يعلمَ أنَّ ما أصابه لم يَكن لِيخطِئَه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن لِيُصيبَه"[٢].

وفي حديث علي: "لا يؤمِنُ عبدٌ حتَّى يُؤْمِنَ بأربعٍ: يشهَدُ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنِّي مُحمَّدٌ رسولُ اللَّهِ بَعثَني بالحقِّ، ويُؤمنُ بالموتِ، وبالبَعثِ بعدَ الموتِ، ويؤمِنُ بالقَدرِ"[٣].

وفي حديث ابن عمر: "كلُّ شيءٍ بقدَرٍ، حتَّى العجْزُ والكَيْسُ، أو الكَيْسُ والعجْزُ"[٤].

---

[١] صحيح البخاري
[٢] صححه الألباني
[٣] صحيح الترمذي
[٤] صحيح مسلم





وقال -صلى الله عليه وسلم-: كل شيء بقدَر "الطيرُ تجرِي بقدَرٍ"[٥].

وعلشان نفهم أصلًا إيه هو القضاء وإيه هو القدر؛ حابب معكم باختصار وببساطة نعرف **بعض القواعد المهمة جدًا اللي تسهل لنا فهم القضاء والقدر:**

- القاعدة الأولى: الإيمان بالقضاء والقدر سر من أسرار الله -عز وجل- في هذا الكون.

كما قال الإمام الطحاوي -رحمة الله عليه-: "وأصل القدر سر الله في خلقه، القدر ده سر الله في خلقه، لم يُطْلِع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق فيه ذريعة الخذلان، وسُلّم الحرمان، ودرجة الطغيان".

فالناس بقى اللي بتقعد تفتش في خفايا القدر وما أُخفي عليه من القدر نقول لهم لا، ده سر من أسرار الله -عز وجل-.

الإمام الآجري -رحمة الله عليه- قال: "لا يُحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر لأن القدر سر من أسرار الله -عز وجل-".

[٥] صحيح الجامع



– **القاعدة الثانية: الدين عندنا حرم الجدال والخوض في القدر إلا إذا كان الإنسان عنده علم فيه.**

إنما اللي يقعد يتكلم في القضاء والقدر بلا علم بقت دي كارثة بالنسبة لنا.

حديث عبد الله بن عمرو: "خرجَ علينا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ونحنُ نتنازَعُ في القدَرِ فغضِبَ حتَّى احمرَّ وجهُهُ حتَّى كأنَّما فُقِئَ في وجنتَيهِ الرُّمَّانُ فقالَ أبِهذا أُمِرتُم أم بِهذا أُرسِلتُ إليكم إنَّما هلكَ من كانَ قبلَكم حينَ تنازَعوا في هذا الأمرِ عزمتُ عليكم ألَّا تتنازعوا فيهِ"[٦].

الخوض في القدر والكلام في القدر وبغير علم شيء منهي عنه في هذا الدين، والنبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "وإذا ذُكِر القدَرُ فأمسِكوا"[٧]. ما تتكلموش تمامًا في القدر، سيبوا القدر ولا تتكلموا فيه إلا بعلم على وفق القرآن والسنة.

طب حد هيتكلم في القضاء والقدر بغير علم، بغير دليل القرآن والسنة لا نسمع له أصلًا.

٦ أخرجه الترمذي والبزار

٧ صححه الألباني



- القاعدة الثالثة: قضاء الله -عز وجل- كله خير.

النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "والشَّرُّ ليس إليكَ"[٨].

لو أن كل إنسان منا أيقن أن كل حكم وكل قضاء لله -عز وجل- خير لاطمئن قلبه، فكن على يقين دائما أن أفعال الله -عز وجل- لا تكون إلا لحكمة بالغة.

تزوجت، أو تأخرت في الزواج، أو تأخر عنك الإنجاب، أو ضُيِّق عليك في الرزق، أو ابتُليت بمرض، أو ابتُليت بمصيبة، أو كذا أو كذا فاعلم أن قضاء الله -عز وجل- كله لك خير. ولو أن الله -عز وجل- رفع الحُجب عن أعيننا لرأينا حسن تدبير الله -سبحانه وتعالى-.

فكم من إنسان كان عاصيًا بعيدًا عن الله -عز وجل- ابتلاه الله بمرض شديد، فتاب هذا العبد ورجع إلى الله -سبحانه وتعالى-، فكان مرضه سبب لعودته إلى الله -عز وجل-. فالمرض اللي احنا شايفينه شر كان هو بوابة الخير لهذا الإنسان.

أعرف إنسان أوقفني في درس من الدروس ذات يوم وهو بيقول لي أنا عمري ما كنت بدخل المسجد. رايح أضع فلوس شغلي كلها في البنك

٨ صحيح ابن حبان



جت عربية سرقت الشنطة وهربت، وكان بلاء شديد ومحنة شديدة، ووقتها رأيت كل شيء مظلمًا إلا بيت الله -سبحانه وتعالى-، فدخلت المسجد ولأول مرة أصلي بين يديه -سبحانه وتعالى-.

وكم من إنسان مُنع من المال وسبحان الله! لو أُعطي هذا المال لطغى في الأرض.

وكم من إنسان قدَّر الله -سبحانه وتعالى- وشاء أن يُحرم الولد ليكون كل ماله للفقراء والمساكين فينتفع منه آلاف الأسر وأنا أعلم هذا بنفسي.

وكم من إنسان أعطاه الله -عز وجل- بنات ولم يعطه أولاد، فوجد فيهم الحنية ووجد فيهم الرقة ووجد فيهم الرحمة ما لا يجدها في أي إنسان آخر.

امرأة سبحان الله! هذه المرأة قدر الله -عز وجل- وقدر لها أنها تلد ويتقال لها كده إن الجنين ده مشوه تشوهات صعبة جدًا وخطيرة جدًا للغاية فرضيت بقضاء الله -عز وجل- وسلمت.

وسبحان الله مات زوجها، فطمع إخوة الزوج في مال هذا الرجل، ولكنها قالت لهم انتظروا فأنا حامل. وُلد هذا المولود ولد مع الثلاث بنات

فكانت النتيجة إن كل اخوات الزوج خلاص ماعدش لهم في التركة لوجود هذا الولد، وبعد أيام بسيطة يموت هذا الولد لتكون التركة للأم وتكون التركة للبنات. فالولد المشوه اللي كانت الأم زعلانة بسببه هي لا تعلم أن هذا حسن قضاء وتدبير من الله –سبحانه وتعالى–.

أول أمس كلمني أحد إخواني قال لي: أنا كنت رايح موعد مهم جدًا نزلت دورت العربية؛ العربية مش عايزة تدور. أروح يمين أروح شمال العربية مش عايزة تدور وعرفت تمامًا إن البطارية باظت. خدت تاكسي بسرعة ورجعت وأنا في غاية الضيق ومتضايق وتعبان، يقول لي والله العظيم أنا لما رجعت تاني يوم صليت الفجر وقلت أروح أدور العربية كده، ففوجئت إن واحد أول ما شافني نزل جري من العربية وهرب. ببص لقيته وصل التوصيلات وظبط كل حاجة إنه يسرق العربية وظل يدور في العربية العربية ما بتدرش، ومايعرفش إن البطارية بايظة، يقول: سبحان الله! البطارية لو كانت سليمة كانت العربية كلها سُرِقَت، فكان تقدير ربنا –عز وجل– لي فوق تصور أي إنسان.

الإنسان إذا مرض في يوم من الأيام لو كُشف عنه الحجاب لعلم يقينًا أن هذا المرض خير له في الدنيا وخير له في الآخرة.

شفتوا سبحان الله! لما الإنسان منا يعيش مع هذه القواعد؛ هيرتاح لما يعلم أن كل قضاء لله -عز وجل- هو الخير، وفيه الحكمة، وفيه الخير للإنسان في الدنيا والآخرة، والله يطمئن القلب.

قال الله -عز وجل-: "وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ" التغابن: ١١، وفي قراءة عكرمة "يهدأ قَلْبَهُ".

اللي يؤمن إن كل شيء بقدر "أنَّ ما أصابه لم يَكن لِيخطِئَه، وأنَّ ما أخطأه لم يكن لِيُصيبَه" تهدأ النفوس وتطمئن، سبحان الله!

السيدة عائشة تقول: كنت أبكي حتى ظننت أن البكاء فالقٌ كبدي.

قالت: ولشأني في نفسي أحقر من أن يتكلم الله -عز وجل- فيَّ بقرآن يُتلى. فأنزل الله فيها آيات فرفع من قدرها ورفع من شأنها.

كل ده يوم ما الإنسان منا يوقن ويعلم يقينًا أن كل قضاء لله -سبحانه وتعالى- فيه خير له.

- القاعدة الرابعة: إرادة الله -عز وجل- ومشيئة الله -عز وجل- على ضربين: عشان نفهم؛ إرادة الله -عز وجل- ومشيئته على ضربين:

المشيئة الأولى: هي المشيئة الكونية القدرية:

قدَّر الله –عز وجل– أن هذا يموت الآن.

قدَّر الله –عز وجل– أن هذا يمرض الآن.

قدَّر الله –عز وجل– أن هذا البيت يسقط عليه الآن.

هل أنا في هذه المشيئة القدرية أنا مُخير ولا مُسير؟

أنا في هذه المشيئة القدرية الكونية أنا فيها مُسير لا أملك فيها شيئًا.

لا أملك فيها شيئًا؛ خالص، ولكن أنا مأمور بدفعها ما استطعت.

قدَّر –عز وجل– إن أنا أُبتلى بمرض فما عليَّ إلا التسليم لقضاء الله –عز وجل–، والله أمرني أن أدفع هذا المرض ما استطعت.

ربنا –عز وجل– قدَّر إن أنا أكون عقيم، أمرني الله –عز وجل– بالرضا بهذا الأمر ودفع هذا ما استطعت، أروح لأطباء وأعمل عمليات مرة واثنين وثلاثة وهكذا.

فالمشيئة الكونية القدرية العبد فيها مسير.

وهناك مشيئة أخرى وهي: المشيئة الشرعية؛ المتعلقة بالحلال والحرام، المتعلقة بالصح والغلط.

هذه المشيئة أنت فيها مُخير، إما أن تأخذ بالأسباب التي توصل إلى الهداية، فهنا يهديك الله -عز وجل-.

وإما أن يسلك الإنسان الأسباب الموصلة للضلال والغواية، فهنا يُضله الله -عز وجل-.

قال الله -سبحانه وتعالى-: "ثُمَّ انصَرَفُوا" هذا كان فعلهم، انصرفوا عن الدين، انصرفوا عن الطاعة، انصرفوا عن العبادة، انصرفوا عن تنفيذ أوامر الله -عز وجل-، "ثُمَّ انصَرَفُوا -فكانت النتيجة- صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم" التوبة:١٢٧

لماذا أضل هؤلاء؟

الله -عز وجل- يقول يهدي من يشاء ويضل من يشاء. لماذا أضل هؤلاء؟ لأنهم انصرفوا عنه -سبحانه وتعالى-.

قال الله -عز وجل-: "وَيُضِلُّ اللَّهُ -مَنْ- الظَّالِمِينَ" إبراهيم:٢٧، هذا إنسان اختار طريق الظلم، اختار طريق البغي فأضله الله -سبحانه وتعالى-.

قال الله -سبحانه وتعالى-: "نَسُوا اللَّهَ -فكانت النتيجة- فَنَسِيَهُمْ" التوبة:٦٧.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ –هذا إنسان اختار هذا الطريق أن يكون الهوى هو الإله فكانت النتيجة– وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ" الجاثية:٢٣.

وفي الجانب الآخر مَن هذا الذي يهديه الله؟ هو الذي أخذ بالأسباب.

قال الله: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ" إبراهيم:٢٧، هم سلكوا طريق الإيمان فثبتهم الله –عز وجل–.

قال الله –عز وجل–: "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" محمد:١٧.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا" الكهف١٣:١٤.

إذًا يهدي من يشاء ويضل من يشاء كيف أفهمها؟

أفهمها أن الله –سبحانه وتعالى– قدَّم أسباب الهداية أولًا، وحذَّر من أسباب الغواية ثانيًا، وأعطى هذا للإنسان.

فمِنَ الناس من يختار طريق الهداية فيهديه الله ويأخذ بيديه ويثبت قدمه.

ومن الناس من يسلك طريق الغواية تكون النتيجة يصرف الله قلبه، ويغوي الله –عز وجل– قلبه، ويضله الله.

يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء.

جعل الله –عز وجل– للهداية أسباب.

أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأرسل الآيات الكونية، عشان تأخذ بايد الناس إلى الهداية، فمن اعتبر بها نجا وهداه الله –عز وجل–، ومن لم يعتبر بها ولم يأخذ بها ضل وهلك مع الهالكين.

فأنت في هذه المشيئة أنت مُخير جعل الله –عز وجل– لك حرية الاختيار؛ إما أن تختار طريق الطاعة وإما أن تختار طريق المعصية.

ووعدك أنه إذا رأى من قلبك الخير أعانك عليه وثبتك عليه وجزاك خيرًا عليه. وإن رأى من قلبك شرًا حبب الشر إليك، وثبت قدمك في هذا الطريق.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * –هتكون النتيجة– فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ *

وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ" الليل٥: ١٠، شفتوا سبحان الله!

هذه القواعد إزاي؟ بتفهم الإنسان.

هل أنا مُسير أم مُخير؟

شوف الله –عز وجل– قال: "اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ" فصلت: ٤٠

قال –تعالى–: "فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا" الزمر: ٤١

قال الله: "فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ" الكهف: ٢٩

قال الله: "فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا" النبأ: ٣٩

قال الله: "مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ" آل عمران: ١٥٢

قال الله: "وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا" الإسراء: ١٩

كل ده دلالة على إيه؟

أنَّ الله –عز وجل– جعل لك مشيئة، جعل لك مشيئة وإرادة تختار بها بين الخير والشر.

ففي مجال الإرادة الشرعية؛ الحلال والحرام، الصح والغلط أنت مُخير.

الجزئية الأخيرة معانا النهاردة من جزئيات القضاء والقدر إن إحنا نفهم ما هي مراتب القضاء والقدر؟

القضاء والقدر على أربع مراتب أساسية:

- **المرتبة الأولى: أن تؤمن بعلم الله المحيط. بأن الله –عز وجل– علم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، ومالم يكن لو كان كيف كان يكون.**

إنك تبقي مؤمن إن ربنا –سبحانه وتعالى– علمه أحاط بكل شيء "عَالِمِ الْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" سبأ: ٣.

يبقى عندك يقين في علم الله المحيط بكل شيء "وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" الأنعام: ٥٩.

أن تعلم أن الله –عز وجل– علم كل شيء.

قال –تعالى–: "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ" الحشر: ٢٢.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ" النجم: ٣٢.

قال –تعالى–: "وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا" طه: ٩٨.

فتعلم أن الله –عز وجل– علمه محيط، أحاط بكل شيء.

ربنا –سبحانه وتعالى– يعلم أنا بعد الحلقة دلوقتي هعمل إيه؟ الله –سبحانه وتعالى– يعلم أنا بعد سنة هعمل إيه؟ الله –سبحانه وتعالى– يعلم أنا هموت ازاي؟ على طاعة ولا على معصية. أسأل الله أن يرزقني وإياكم حسن الختام.

فعِلْم الله أحاط بكل شيء حتى الأشياء التي لم تكن لو كانت كيف ستكون.

قال الله –سبحانه وتعالى–: "وَلَوْ رُدُّوا" أهل النار لو ردهم الله إلى الدنيا "وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ" الأنعام: ٢٨ وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

فتؤمن بعلم الله –سبحانه وتعالى– المحيط، وتعلم أن الله –سبحانه وتعالى– بهذا العلم قضى وقدَّر وكتب –سبحانه وتعالى–.

– المرتبة الثانية: هي مرتبة الكتابة. أن الله –سبحانه وتعالى– لمّا علم كل شيء كتب كل شيء.

قال الله –عز وجل–: "مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" الحديد: ٢٢.

شوفوا سبحان الله! ازاي ربنا بيذكر لينا الآيات اللي بتوضح لينا الكتابة "إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ" يس: ١٢.

قال الله –عز وجل–: "مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ" الأنعام: ٣٨.

قال الله: "وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ" القمر ٥٢: ٥٣.

كل حاجة اتسجلت واتكتبت ومدونة عندنا.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ"[٩].

[٩] صحيح مسلم



وهذه الكتابة مرت بمراحل:

- المرحلة الأولى: الكتابة الأزلية أو التقدير الأزلي لمّا خلق الله القلم وقال له: اكتب. وقال وما أكتب؟ قال: اكتب كل شيء إلى قيام الساعة. وكان هذا قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

- والكتابة الثانية: وأنت في بطن أمك لما يرسل الله -عز وجل- مَلَكًا فيكتب أربعة: الرزق والأجل والعمل وشقي أم سعيد.

- والمرة الثالثة: في التقدير السنوي؛ في ليلة القدر يُكتب فيها كل شيء يحدث على مدار السنة.

عشان كده كنا دايمًا بنقول للناس ليلة القدر اهتموا، ادعوا إن ربنا يرزقكم الحج، ادعوا إن ربنا يرزقكم المال في طاعته، ادعوا إن ربنا يرزقكم ما تحبون.

قال -تعالى-: "فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ" الدخان: ٤، قال ابن عباس: "يُكتب فيها من يحج العام ومن يُجاهد العام ومن يموت هذا العام".

- وفيه تقدير رابع مع التقدير الحولي ده تقدير آخر، وهو التقدير المتعلق بالتقدير اليومي. رفع الأعمال إلى الله -سبحانه وتعالى- اليومي في صلاة العصر وفي صلاة الفجر.

- المرتبة الثالثة: المشيئة، يبقى إذًا احنا عندنا مرتبة العلم ثم مرتبة الكتابة يليها مرتبة المشيئة.

وذكرت لكم إن مشيئة الله -سبحانه وتعالى- على ضربين: مشيئة قدرية كونية، ومشيئة شرعية. وعرفنا إزاي نتعامل مع كلا المرتبتين.

- المرتبة الرابعة هي مرتبة الخَلْق: وهي التي يؤمن فيها العبد أن الله - عز وجل- هو خالق كل شيء؛ خلق الإنسان وعمله.

قال -تعالى-: "اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ" الزمر: ٦٢

قال -سبحانه وتعالى-: "وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" الصافات: ٩٦

وهنا سبحان الله! أسأل نفسي سؤال: هو أنا لو آمنت بالقضاء والقدر إيه اللي أنا ممكن أستفيده من وراء الإيمان بالقضاء والقدر؟

ثمار الإيمان بالقضاء والقدر

١– من آمن بالقضاء والقدر خيره وشره زال عنه الحزن، وزال عنه الهم، وزال عنه السخط، وانتقل إلى منازل الرضا بقضاء الله –سبحانه وتعالى– وقدره، لأنه يعلم أن كل قضاء في هذا الكون إنما هو لحكمة بالغة فيه العدل الكامل من الله –سبحانه وتعالى–، وأنّ ما يراه الإنسان شرًا ما هو إلا محض خير من الله –سبحانه وتعالى–.

٢– يزداد الإنسان سكينة وطمأنينة وهو يعلم أن الله –عز وجل– حكيمٌ قريبٌ خبيرٌ –سبحانه وتعالى–. يرزقه الله –عز وجل– الرضا والقناعة بمقادير الله –سبحانه وتعالى–، لأنه علم أن الله –عز وجل– لا يُقَدِّر شيئًا إلا لحكمة.

٣– يصرف الله –عز وجل– عنه اليأس والإحباط والقنوط. سبحان الله! الخنساء لما مات أخوها صاحب الجاهلية قبل الإسلام قبل أن تؤمن بالقضاء والقدر كانت تبكيه وكتبت فيه الأشعار كتبت فيه المراثي وألبت الناس على من قتلوا صخر، وهي كانت تقول: ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي. دي امرأة سبحان الله! ما آمنت بالقضاء والقدر.

فلما آمنت بالله -سبحانه وتعالى- ودخلت في دين الله -عز وجل-، واستقرت أصول ومبادئ الإيمان بالقضاء والقدر في قلب هذه المرأة، سبحان الله! لما مات لها أربعة من أبنائها في معركة واحدة وهي معركة القادسية، ما وجدوا منها إلا برد الرضا، ما وجدوا منها إلا السكينة، ما وجدوا منها يأسًا، وما وجدوا منها قنوطًا، وما وجدوا منها إحباطًا.

سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله!

٤- كذلك أيضًا من الأمور المهمة جدًا اللي بيستفيدها الإنسان من وراء الإيمان بالقضاء والقدر يلهمه الله -سبحانه وتعالى- الصبر عند نزول البلايا، لأنه يؤمن بالقضاء والقدر.

قال الله -سبحانه وتعالى- في شأن هؤلاء اللي درسوا القضاء والقدر كويس وعلموا أن قضاء الله كله خير إذا أصيبوا بمصيبة: "الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" البقرة:١٥٦. سبحان الله!

علم إن قضاء الله -عز وجل- حكمة، علم إن قضاء الله -عز وجل- من ورائه نفعًا عظيمًا في الدنيا أو نفعًا عظيمًا في الآخرة.

٥- هذا الإنسان الذي آمن بالقضاء والقدر مما ينفعه أيضًا يُقدم على عظائم الأمور بشجاعة وقوة لأنه آمن بقول الله -عز وجل-: "قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ" التوبة: ٥١.

٦- كذلك سبحان الله! كلما آمن الإنسان بالقضاء والقدر كلما كان أبعد عن الكسل وعن التواني في طاعة الله، لأنه عَلِم يقينًا أن الله يهدي من أخذ بأسباب الهداية. وأن الله -عز وجل- يثبته على الطريق فيعلم أن الهداية لها أسباب، فتلاقيه بيسعى في هذه الأسباب يتعرف على أهل العلم، يحضر مجالس علم، يتعرف على رفقة طيبة، يتعرف على رفقة صالحة، يعمل أعمال صالحة، وأعمال من الطاعات فسبحان الله! تجد هذا الإنسان حريص على طاعة الله، بعيد عن الكسل، بعيد عن الاعتمادية -لما ربنا يبقى يهديني- بعيد عن هذه الاعتمادية، حريص أن يقدم الخطوة الأولى التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- قال الله -عز وجل-: "وَمَن تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعًا"[١٠]، تلاقيه مفيش كسل مفيش تواني سبحان الله!

[١٠] صحيح مسلم



وأختم وأقول: والله ما طابت الحياة إلا بإيمان العبد بقضاء الله وقدره، وما ازداد الإنسان حياة في هذه الحياة الطيبة فرحةً وسرورًا وسعادةً وصبرًا ورضا عن الله –عز وجل– إلا مع دراسة أحكام القضاء والقدر.

وبهذا يكون قد انتهى هذا الدرس وبه تكون قد انتهت هذه السلسلة.

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا ويجعلنا وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.